مكتبة الاستاذ ابراهيم الابياري

الكوثري وتعليقاته

جامعة الماجد
دبي
ص.ب ٥٥١٥٦
للثقافة والتراث

بقلم علامة الشام الأستاذ الشيخ

محمد بهجة البيطار

بارك الله فى حياته

هدية
من المرحوم الشيخ

مقال نشرته مجلة الرابطة العربية التى تصدر بمصر بعددى ١٠٦ و ١٠٧ المؤرخين ١ و ٨ جمادى الأولى ١٣٥٧ — ٢٩ يونية و ٦ يولية ١٩٣٨ وجاء محرفا وساقطا منه عدة سطور، فلزم طبعه .

مطبعة الإمام ١٤ شارع على عبد اللطيف بالمالية بمصر

فهرس طليعة التنكيل

٢٧ الخطبة وفيها إجمال ما وقع فيه الكوثرى فى تأنيبه

٣١ أنواع من مغالطات الكوثرى ، الضرب الأول تبديل الرواة وسياق أمثلة من ذلك

٥٦ الضرب الثانى يعمد إلى كلام لا علاقة له بالجرح فيجعله جرحاً وسياق أمثلة من ذلك

٦٣ الضرب الثالث يهتبل ما وقع فى بعض الكتب من تصحيف أو غلط فيبنى عليه حيث يوافق هواه وسياق أمثلة من ذلك

٧٠ (اعتبار) حيث تخالف الألفاظ الصحيحة غرض الكوثرى يدعى تصحيفها وسياق أمثلة

٧٣ الضرب الرابع تحريف الكوثرى نصوص أئمة الجرح والتعديل

٧٨ الضرب الخامس تقطيعه نصوص الأئمة ، يأخذ قطعه من النص فيبنى عليها ما يدل بقية النص على خلافه وسياق أمثلة من ذلك

٨٣ الضرب السادس يعمد إلى جرح لم يثبت فيحكيه بصيغة الجزم محتجاً به وسياق أمثلة

٩٠ الضرب السابع تجهيله للمعروفين الموثقين ، عندما يقتضى غرضه ذلك ، وسياق أمثلة

٩٣ (اعتبار) ويزعم فى المجاهيل الذين يريد الاحتجاج بهم أنهم معروفون موثقون مجازفاً بذلك ، وذكر أمثلة من ذلك

١٠١ الضرب الثامن يطلق صيغ الجرح بما لا يوجد فى كلام الأئمة ولا عليه دليل ، وأمثلة من ذلك ١١٢ الإشارة إلى أنواع أخرى

١١٥

الإمام الباقلانى وكتابه التمهيد

لحضرة صاحب الفضيلة العلامة المحقق السلفى

الشيخ محمد بن عبد الرزاق حمزة

المدرس بالمسجد الحرام ومدير دار الحديث بمكة المكرمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على خاتم المرسلين ، عبد الله ورسوله الكريم محمد وعلى آله أجمعين .

وبعد : فقد رغب صاحب السماحة ، السلفى الصالح ، خادم السنة والذاب عن حياضها ، وناشرها بكل ما يملك ، إلى كل قطر وسقع جهد استطاعته — الشيخ محمد بن حسين نصيف : فى نشر هذه الكلمة القيمة ، التى دبجها يراع الأخ العلامة المحقق الشيخ محمد بن عبد الرازق آل حمزة مدير دار الحديث بمكة المكرمة ، والمدرس بالمسجد الحرام ، دفاعاً عن الإمام الباقلانى ، وتنزيهاً لكتابه « التمهيد » عما ألصقه به ناشراه بالقاهرة .

فجزى الله الكاتب والناشر خير ما يجزى عباده المؤمنين الصادقين المجاهدين الصابرين .

وصلى الله وسلم وبارك على محمد النبى الأمى وعلى آله أجمعين .

* * *

للإمام أبى بكر بن الطيب الباقلانى منزلة معروفة بين علماء الكلام ، وخصوصاً بين جماعته الاشاعرة الذين اشتهروا بمخاصمة المعتزلة وغيرهم ممن يرونهم مخالفين للسنة .

وكتابه « التمهيد » له قيمته عند من عرف قدر الباقلانى وجهده المحمود فى نصرة السنة والذب عنها ، وحجاج مخالفيها على قدر مستطاعته وجهده . وقد حفظ الله — على بعد العهد ، وانْدثار آثار السلف بأحداث الزمن وعواصفه ، وضياع الكثير منها بزوابع الحروب والانقلابات ، ولاسيما طغيان التتار والمغول على أهم عواصم الاسلام وقواعده — حفظ لنا من هذا الكتاب عدة نسخ ، تختلف فى الوفاء بمضامين الكتاب واستيعاب أصله ، من ذلك :—

١ — نسخة مكتبة أيا صوفيا تحت رقم (٢٢٠١) ذكرها الاستاذ هـ . ريتر . وذكر أن تاريخ كتابتها يرجع إلى عام (٤٧٨ هجريه) .

٢ — نسخة مكتبة مصطفى عاطف رقم (٢٢٢٣) وقد نقلت إدارة الثقافة بالجامعة العربية بالقاهرة صورة شمسية منها ، وقد نقلت لى صورة منها لأُقارن بينها وبين النسخة الثالثة الآتية . وعدد أوراقها (٢٤٧) ورقه ، وتاريخ كتابتها (٥٥٥) هـ .

٣ — نسخة باريس ، ويرجح أن تاريخ كتابتها يرجع إلى عام (٤٧٢ هـ) من عبارة جاءت فى آخر النسخة بعد كلمة « تم الكتاب » ولكن بعدها ما يفيد أن نسخها وقع بعد التسعمائة ، فالله أعلم وعدد أوراقها نحو تسعين ورقة .

والعجب من ناشريها : أن لا يذكرا العبارة التى تدل على تاريخ نسخها .

وبمقارنة نسخة مكتبة مصطفى عاطف بنسخة مكتبة باريس وجدنا نقصاً فى نسخة باريس عن نسخة مكتبه عاطف بنحو (٧٢) ورقه تقدر بنحو (٣٠) ورقه من النسخة الباريسيه ، ومحل النقص : بين الورقه (٦٠) والورقه (٦١) منها ومكانها من المطبوعه : بعد السطر ١٤ من صفحه (١٦٠) قبل الباب الحادى والستين (باب القول فى معنى الجبر) فأظهرت العاطفيه انخرام النسخه الباريسيه بعد الورقه (٦٠) منها ، كما شهد بذلك نقص خمسه وعشرين باباً أثبتها فهرستها .

وسأذكر هذه الفصول من النسخه العاطفيه بأرقام أوراقها منها ، وربما ذكرت شيئاً من أول بعض الفصول ، تأكيداً لانخرام الباريسيه ورداً على دعوى ناشرى الكتاب كمال نسختهما الباريسيه ، وعدم نقص شىء منها .

فأول الانخرام فى الباريسيه : بعد آخر ورقة (٦٠) منه ، التى آخرها (أن قام عليه .) وبعدها من العاطفيه (دليل وليس الكلام فى الإطلاقات والعبارات . وإنما الكلام فى المعانى) إلى عشرة أسطر من ظهر ورقه (١١٤) فيكمل الباب ، ثم يقول المؤلف (باب الكلام

فى معنى الصفة ، وهل هى الوصف أم معنى سواه ؟) ثم يسوق كلاماً يستغرق أربع ورقات من العاطفية ثم يقول (دليل آخر) فى وجه ورقة (١١٩) ، دليل آخر وجه ورقة (١٢٠) ثم باب الكلام فى الاسم ومم اشتقاقه ، وهل هو المسمى أو غير ذلك ؟ ظهر ورقة (١٢٠) ثم بعد ورقة وثلاثة أسطر من أول ورقة (١٢١) يقول (فصل) ثم بعد ثلاثة أسطر من ظهر ورقة (١٢٣) يقول (مسأله) وبعد خمسة أسطر من وجه ورقة (١٢٤) مسألة ، ثم فى أول وجه (١٢٥) يقول (فصل آخر من الكلام فى هذا الباب) وفى أول وجه (١٢٦) فصل آخر فى الأسماء ، وفى أثناء ظهر (١٢٦) (باب الكلام فى نفى خلق القرآن) ثم يمضى فى ذلك الباب فصولا ومسائل (ودليل آخر) إلى أثناء وجه (١٢٦) فيقول (باب فإن قال قائل : (فما الحجة فى أن لله وجهاً إلخ) وفى أثناء وجه (١٣٧) باب — فان قال قائل : فهل يقولون : إنه فى كل مكان) ؟ قيل : معاذ الله ، بل هو مستو على العرش . كما أخبر فى كتابه . فقال (الرحمن على العرش استوى) وقال (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) وقال (أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض) ولو كان فى كل مكان لكان فى جوف الإنسان وفمه ، وفى الحشوش والمواضع التى يرغب عن ذكرها — تعالى الله عن ذلك — ولوجب أن يزيد بزيادة الأماكن إذا خلق منها ما لم يكن خلق ، وينقص بنقصانها إذا بطل منها ما كان ، ولصح

أن يرغب إليه إلى نحو الأرض ، وإلى وراء ظهورنا وعن أيماننا وشمائلنا ، وهذا ما قد أجمع المسلمون على خلافه ، وتخطئة قائله .

فإن قالوا : أفليس قد قال الله عز وجل (وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله) فأخبر أنه فى السماء وفى الأرض ، وقال (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) وقال (إننى معكما أسمع وأرى) وقال (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ، ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم) فى نظائر لهذه الآيات فما أنكرتم أن يكون فى كل مكان ؟ .

يقال لهم : قوله تعالى (وهو الذى فى السماء إله وفى الارض إله) المراد به : أنه إله عند أهل الأرض ، وإله عند أهل السماء ، كما تقول العرب : فلان نبيل مطاع بالعراق ، ونبيل مطاع بالحجاز . . يعنون بذلك : أنه مطاع فى المصرين . وعند أهلهما وليس يعنون أن ذات المذكور بالحجاز والعراق موجودة ، وقوله (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) بالحفظ والنصر والتأييد فلم يرد أن ذاته معهم ، تعالى الله عن ذلك .

وقوله (إننى معكما) محمول على هـذا التأويل ، وقوله (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم) يعنى أنه عالم بهم وبما خفى من سرهم ونجواهم ، وهذا إنما يستعمل كما ورد به القرآن ، فلذلك لا يجوز أن

يقال قياساً على هذا: إن الله سبحانه بالبردان وبمدينة السلام، وأنه تعالى مع الثور ومع الحمار ولا أن يقال: إنه سبحانه مع الفساق والجهال قياساً على قوله (إن الله مع الذين اتقوا) ووجب أن يكون التأويل على ما وصفناه ، ولا يجوز أن يكون معنى استوائه على العرش هو استيلاؤه عليه ، كما قال الشاعر :

قد استوى بشر على العراق من غير سيف أو دم مهراق

والاستيلاء هو : القهر والقدرة ، والله لم يزل قادراً قاهراً عزيزاً مقتدراً . وقوله (ثم استوى على العرش) يعنى استفتاح هذا الوصف بعد أن لم يكن ، فبطل ما قالوه اهـ .

وهـــذا هو الفصل الذى نقله الإمام ابن القيم فى اجتماع الجيوش الإسلامية صفحة (١١٩) ، (١٠٠) من الطبعة المنيرية ، فقابل بينهما تجد النقل حرفاً بحرف ، حذو القذة بالقذة ، مما يهتك الكوثرى المباهت ، ويبرىء الإمام ابن القيم من تهمة التزوير التى افتراها عليه المفترى الافاك الكوثرى ، فيما نقله عنه ناشرا الكتاب صفحة (٢٦٥) من تعليقها . وقد قال الكوثرى عندئذ (لا وجود لشىء مما عزاه ابن القيم إلى كتاب التمهيد فى كتاب التمهيد هذا ، ولا أدرى ما إذا كان ابن القيم عزا إليه ما ليس فيه زوراً ليُخادع المسلمين فى نحلته ، أم ظن بكتاب آخر أنه التمهيد للباقلانى) .

يا كوثرى ؟ أقول : قد نادت نسخة المكتبة العاطفية باسلامبول التى كنت تسكنها — وأكاد أجزم بأنك قد رأيتها — على صدق الإمام ابن القيم وأمانته وتثبته فى النقل ، وثقته فيما يقول ، كما شهد بذلك الناس جميعاً ، موافقون ومخالفون له ، من زمنه إلى الآن . ودلت النسخة العاطفية على بهتانك أنت ، وكذبك على هذا الإمام ، وتقيح صديد الغيظ والحقد والزور والبهتان فى قلبك على أئمة المسلمين وثقاتهم وأنك أنت الخائن والمحرف .

(عود إلى النسخة العاطفية) ثم ذكر المؤلف عدة أبواب إلى أول وجه (١٣٩) (الكلام على رؤية الله بالابصار) فذكر باباً وثمانية مسائل إلى أثناء ظهر ورقة (١٤٥) قال (باب القول فى أن الله تعالى مريد لجميع المخلوقات) فذكر خمس مسائل إلى أثناء وجه (١٤٨) (باب الكلام فى الاستطاعة) فذكر بابين وثمان مسائل إلى أثناء وجه (١٥٢) (باب الكلام فى إبطال التولد) وفى أثناء وجه (١٥٥) باب (الكلام فى خلق أفعال العباد) فذكر شبهاً لهم ، وأجاب عنها ، وآيات احتجوا بها ، وأجاب عنها فى باب مستقل .

ثم ذكر عشر مسائل فى الباب إلى ثانى سطر من ظهر الورقه (١٦٣) (باب وجوب تسميتهم قدريه) رابع سطر ظهر (١٦٤) (باب القول فى أن الله قضى المعاصى) فذكر فيه بابين إلى أثناء ظهر (١٦٥)

(باب القول فى الأرزاق) قال (فان قالوا : فتقولون: إن الله يرزق الحلال والحرام ؟ قيل لهم : أجل إلخ) وفى أثناء وجه ١٦٦ (باب القول في الأسعار) قال (فإن قال : خبرونا عن الاسعار وغلائها ورخصها من قبل من هو ؟ قيل له : من قبل الله عز وجل) وفى أول وجه ١٦٧ (باب القول فى الآجال) وفي آخرها (باب الهدى والضلال) وفى آخر ١٦٨ ﴿باب اللطف﴾ وفى أثناء ١٦٩ ﴿باب الكلام في التعديل والتجوير. فان قال قائل : فهل يجوز أن يؤلم الله تعالى الأطفال . من غير عوض ؟ وأن يأمر بذبح الحيوان وإيلامه لا لنفع يصل إليهم ؟ وأن يسخر بعضهم لبعض؟ وأن يفعل العقاب الدائم على الأجرام المنقطعة ؟ وأن يكلف عباده مالا يطيقون ؟ وأن يخلق فيهم ما يعذبهم عليه ، وغير ذلك من الأمور ؟ قيل له أجل . . الخ .﴾

وقد نقلت من هذا الباب ما رأيت ليعلم الناشر أن المؤلف لم يحصل له سهو ولا غفلة حينما أحال على هذا الباب ، كما وصماه بذلك ، بل إن انخرام نسختهما هو الذى أوقعهما في هذه المهاترة والمكابرة ، ورمى المؤلف بالغفلة وبعدم وفائه بوعده في حوالته .

﴿عود إلى العاطفية﴾ في أثناء وجه ١٧١ ﴿باب القول فى

معنى الدين﴾ وفي ظهرها الكلام فى الايمان والاسلام ، والاسماء والأحكام ، وفى وجه ١٧٢ ﴿باب القول فى معنى الاسلام﴾ وفي ظهرها ﴿باب في تسمية الفاسق الملّى مؤمناً﴾ وفى ظهر ١٧٣ ﴿باب القول في الوعد والوعيد﴾ وفي أول ظهر ١٧٥ (باب القول في الخصوص والعموم) وفي ظهر ١٧٩ (باب الكلام فى الشفاعة) وفيه خمس مسائل ، وفصل ، وفي ظهر ١٨٥ (باب الكلام في الإمامة ، وذكر جمل عن أحكام الاخبار وما يدل على فساد النص وصحة الاختيار) وفى أول وجه ١٨٦ مسألة القول في الخبر . وهو أول ورقة ٦١ من النسخة الباريسيه

فما أشرنا إليه من الابواب والفصول من ورقة ١١٤ إلى أول ورقة ١٨٦ من النسخة العاطفيه : هو الخرم بين ورقة ٦٠ و٦١ من النسخة الباريسية ونُخَمِّن أنه نحو ثلاثين ورقة منها، فيكون خرمها نحو ربعها

وقد ثبت بمالا يحتمل الجدل ، ولا يعلق بذيله غبار الشك : انخرام النسخة الباريسيه التى اعتمدها ناشر الكتاب ، فهل يصران ـ بعد ذلك ـ على التمسك بعدم نقصها ويلجّان فى المكابرة باتهام المؤلف الباقلانى بالسهو فى عدم وفائه بما أحال عليه في (باب

التعديل والتجوير) وتتمادى بهما اللجاجة إلى أن أصلهما ـ المخروم ربعه ـ أوثق عندهما من الإمامين الجليين المتفق على صدقهما وثقتهما من عصرهما إلى الآن ، إمامى العقل والنقل: شيخ الاسلام ابن تيمية ، وتلميذه العلامة المحقق ابن قيم الجوزية ، رحمهما الله ورضى عنهما ؟ وقد أريتهما موضع نقلهما من العاطفية بابا ورقما وقد طبع الاصل فى بيروت فى عام ١٩٥٧ من منشورات جامعه الحكومه فى بغداد

وهل يبقى الأفاك البهات الكوثرى مولى لهما وحجة عندهما بعد ما ظهر بهته الإمام ابن القيم ، ورميه إياه بالزور والخداع ، انتحاله نحلة يزور للخداع بها كما زعمه هذا البهات المفترى الأثيم ؟

أما كان انقطاع الكلام أسلوبا وتبويبا فى صفحة ٦٠ بعد سطر ١٤ من مطبوعهما ، وعدم انسجام الباب ٦١ مع ما قبله ، وفهرس النسخة الباريسيه الذى يدل على سقوط ٢٥ بابا ـ أما كان كل ذلك كافيا لتشكيك الناشرين فى عدم كمال أصلهما وانخرامه ؟ فكان ذلك مما يريحهما ويريح القارىء من استنتاجات سقيمة: أن المؤلف الباقلانى سها عن الوفاء بوعده فى حوالته على باب التعديل والتجوير ، وأن باب الأرزاق والأسعار وغيرهما مما أدخل فى علم الكلام

بعد القرن السابع ؟ وأن الكلام فى الصفات يغنى عنه (باب فى الصفات) إلى آخر ما نسجا من خيوط العنكبوت ليسترا خرم أصلهما

وقد اعتذرا فى الاقتصار عليه ببعد النسخ الأخرى فى جبال الاناضول ، فها هى ذى إحدى النسخ الأناضولية — نسخة مصطفى عاطف ـ صارت منهما فى متناول اليد ، وعلى طرف الثمام فى إدارة الثقافة العربية بجامعة الدول العربية بالقاهرة؟ فهل يحقق الناشران رجاء الناس ، ويكملان خرم الباريسيه من العاطفية ، وينشرانه ملحقا لما طبعا إحقاقا للحق وخدمة للكتاب الذى طبعاه ، ووفاء بحق المؤلف الذى ترجماه ، وطبعا مؤلفه مخروما ربعه ، وجريا على ما كان يحبه شيخهما الشيخ مصطفى عبدالرازق الذى أهديا الكتاب إلى روحه : من حب الانصاف والرجوع إلى الحق بعد ما تبين ، وعدم الجدل بالباطل لدحض الحق ، واحترام العلماء الأئمة الثقات ، كابن تيمية وابن القيم ، اللذين لم يحفظ عن منصف ـ كشيخهما ـ كلمة همز أو تحقير لهما ، فضلا عن توثيق نسخة مخرومة الربع عنهما ؟

ولو ذكر الناشران المثل القائل « من كان بيته من زجاج

لا يرمى الناس بالحجارة» لاحتاطا لأنفسهما، فمن كان أصله مخروم الربع كيف يحاول أن يفهم الناس كماله بالطعن في الثقات الأئمة لعدم وجود ما نقلوه فيه، لانه مخروم ؟.

إن فى مجال العقل والانصاف : إذا وجد نقل ثقة ـ فكيف بثقتين كابن تيمية وتلميذه ابن القيم — ما يخالف أصلا يعثر عليه العاثر : أن يحال ذلك على اختلاف النسخ من النساخ تارة ، ومن المؤلفين الذين يزيدون وينقصون فى مؤلفاتهم تارة ، كما عرف ذلك ، والأمثلة على ذلك كثيرة ، وإعادة طبعات الكتاب الواحد شاهد عدل على ذلك أيضاً .

أما همز الناشرين لشيخ الاسلام ابن تيميه ـ بعبارات أقل أحوالها : أنها سوء أدب وجهل ، مع بعدها عن الحقيقة والواقع كقولهما فى مدحه للباقلانى «على غير عادته» وقولهما «إنه معروف بالتحيز» وغير ذلك من اللغو والهراء الذى يدل على جهلهما — فيمر عليه عباد الرحمن مر الكرام .

ولقد اعترف كرام العلماء والمنصفين ـ عرباً وعجماً ـ بفضل الشيخين ، وما انحرف عنهما إلا الجاهلون ، أو اللئام الشعوبية ، أهل الحقد والضغن ـ كالكوثرى ـ فليعلم الناشران

أنفسهما حيث أحبا من إنصاف الشيخين أو البغض لهما، ومحاولة انقاصهما ، وهم أدرى الناس بما يصلح لهما .

وأما ما شنشنا به من أن إثبات علو الله على عرشه وبطلان تأويله بالاستيلاء : يثبت التجسيم ، أو غير ذلك مما ثرثرا به ، وحاولا نفى ذلك عن كتاب التمهيد ، فإنا نقول لهما فى صراحة : عدّيا عن ذلك ، فليس هذا ميدانكما ، وخلياه للمؤمنين الذين يعرفون الله بأسمائه وصفاته من كتابه ومن كلام رسوله ، وإنما صناعتكما النشر ، ولم تتقناه ، فإنكما لم تعطياه ما يعطيه الناشر الأمين .

ثم نسألهما ـ بعد ثبوت ذلك في كتاب التمهيد ـ: ماذا تقولان في التمهيد ومؤلفه بعد ذلك ؟ .

ثم نسألهما عن قول مولاهما ، وحجتهما الكوثرى «لا يوجد فى التمهيد ما نقله ابن القيم .. الخ» من الذى يحيط علمه بنفى ما في نسخ التمهيد شرقاً وغرباً من القرن الرابع إلى القرن الرابع عشر؟ من الذى يحيط علمه بهذا النفى العام القاطع الجازم إلا علام الغيوب فهل أحاط علم الكوثرى فى القرن الرابع عشر بجميع نسخ التمهيد شرقاً وغرباً في عشرة قرون ، فصح له أن يقول «لا يوجد ما نقل